المَشهَدُ النَّقدِيُّ الجَزَائِرِيُّ مِنَ التَّنظِيرِ إِلَى التَّطبِيقِ

عبد الجليل بوطبل

جامعة وهران01 أحمد بن بلة - الجزائر

تاريخ التلقي Submission date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ النشر Publication date
2020-12-14	2020-12-22	2020-12-27

ملخص الدراسة:

نرومُ من خِلَالِ هَذهِ الورقة البَحثيةِ دراسةَ المَشهدِ النَّقدي الجزائرِي من التَّنظير إلى التَّطبيقِ – قراءةً وإحصاءً وتأريخًا -، وذلك برصدِ أهدافِهِ واتجَاهاتِهِ والنَّظرِ في النِّتاجِ الأَدَبِي والنَّقد ي في كلّ محطةٍ من محطاتِهِ، وإبراز أهمّ رُوَادِهِ، وَمُحَاوِلِينَ مَعرفَةَ المَرجعيَاتِ الفكريةِ والفلسفيةِ للمناهجِ الّتي تبنَاهَا نُقَادُنَا في ممارساتِهم النَّقديةِ، ومتسائلينَ عن ماهيةِ الإجراءاتِ المُتبَعَةُ للنُّهوضِ بالنَّقد الأَدَبِي الجزائِرِي وَتأسيسِ حركةٍ نقديةٍ محليةٍ.

كلمات مفتاحية: التَّلقي النَّقدي؛ الأدبُ الجزائري، النَّقد الجزائري؛ التَّنظير؛ التَّطبيق.

تقديم:

نسعى من خِلَالِ هَذهِ الدِراسَةَ تتبع المشهد النَّقدي الجزائري دراسة تأثيلة تأصيلية، راصدين بذلك اِتجاهاته وأهدافه التَّنظيرية والتطبيقية، وكما لا يخفى علينا أنَّ الأدب النَّقد ي كان في مهده عبارة عن مقالات منشورة في الجرائد الوطنية الجزائرية كالمنتقد والشِّهاب أو في آثار الشيخ بن باديس والشيخ الإبراهيمي، و بعدها جذاذات هنا وهناك من أبي القاسم سعد الله القماري وصالح خرفي وعَبد الله الرَّكيبي ومحمَّد ناصر ... ثم نحا المشهد النَّقد ي منحاً نشطاً برز في كتابات نقدية مختلفة المشارب والمرجعيات؛ وذلك بالمثاقفة وانفتاح الناقد الجزائري على العوالم الأخرى مواكباً روح العصر.

وبناء على ما سبق بدأت ترتسم معالم هذا النَّقد، واستطاع الناقد الجزائري أن يجعل قلمه فاعلاً في الممارسة النَّقدية العربية المعاصرة، والفضل راجع للنقاد الذين مارسوا المناهج المعاصرة –على سبيل المثال لا الحصر-عَبد الملك مرتاض في عدة كتابات من بينها – دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمَّد العيد آل خليفة – وعَبد القادر فيدوح في كتابه –تأويل المتخيل السرد والأنساق الثقافية -، حسين خمري -نظرية النَّص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال -...

وعليه من هذا المنطلق سنسعى إلى تأريخ للمشهد النَّقد ي الجزائري – الحديث والمعاصر – وذلك بتِبيان اِتجاهاته وأهدافه ورجالاته ومؤلفاتهم:

محطات النَّقد الجزائري الحديث:

اِرتأينا أن نؤرخ للنقد الجزائري الحديث من ظهوره إلى نهاية السبعينات؛ لا يخفى علينا أن النَّقد يتماشى مع الأدب، هذا الأخير قلَّ وجوده في الفترة الاستعمارية وما قبلها، إلا لمحات وومضات أحالتنا إليها بعض الكتب ككتاب دراسات في الأدب الجزائري الحديث لأبي القاسم سعد الله، وعمار طالبي في كتابه آثار ابن باديس. (عبد الملك مرتاض، ص 77) ...

فالممارسة النَّقدية شبه منعدمة لانعدام الأدب – إن جاز التعبير – وهذا راجع إلى براثن الاستعمار.

حدد عَبد الله الرَّكيبي المشهد النَّقدي الجزائري في ثلاث مراحل اِتسمت بالتداخل الائتلاف والاختلاف؛ فالمرحلة الأولى حصرها بين القرن 19 وقيام الحرب العالمية الثانية، أما المرحلة الثانية فتمتد من الحرب العالمية الثانية إلى الثورة التحريرية، أما الثالثة فمن الاستقلال إلى يوم الناس هذا. (عبد الله الرَّكيبي، 1983، ص241)

المحطة الأولى:

تميزت بالإصلاح عموماً والنَّقد المعياري – إن صح التعبير -فقد اهتم الأدباء بالمعاني الجزئية في القصيدة لا بالقصيدة بوصفها كلاً واحداً مثلما فعل أصحاب مدرسة الديوان.

(عبد الله الرَّكيبي، 1983، ص241)

فهذه المرحلة كانت لها المسحة التقليدية القديمة التي اهتمت بالجزء وأهملت الكل.

أمَّا المحطة الثانية:

فتميزت بنوع من الحركة الأدبية والنَّقدية وذاك راجع إلى عودة صدور الجرائد والدوريات كالبصائر وجريدة الشعلة، وعودة الخبرات المتشبعة من نتاج الثقافة الغربية كالكاتب أحمد رضا حوحو، وكما ساهمت البعثات العلمية إلى المشرق العربي وغيره في إثراء مكتبة هذه المرحلة.

أمَّا المحطة الثالثة:

فاتّصفت بتنقيح الماضي ومراجعته وإمداده بشحنات عصرية-تنظيرا وتطبيقًا، وذلك بالتعريف بقضايا وملامح الأدب الجزائري، فقد ألَّف شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله كتاب – دراسات في الأدب الجزائري الحديث – وألَّف عَبد الحميد بورايو كتاب – القصص الشعبي في منطقة بسكرة -؛ ليعرفوا بذلك الأدب الجزائري ورجالاته، وهذه الفترة تميزت بطابعها التاريخي – مقاربة تاريخية -دون أن نسميها ممارسة نقدية.

ومن خلال التَّنظير للأدب الجزائري ظهر جنس الرِّواية في الساحة الأدبية كرواية " غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو(1947)، وريح الجنوب عَبد الحميد بن هدوقة، وحكاية العشاق في الحب والاِشتياق لمحمَّد بن براهيم (1949)".

فالباحث الروسي "روبرت لاندا Robert Landa" يؤرخ للرواية الجزائرية بظهور غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو 1947، (روبرت لاندا، 1994،ص 38) ويرى الطيب ولد العروسي عكس ذلك فيجعل من رواية حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمَّد بن براهيم (1949) أول بواكير العمل الروائي الجزائري؛ وذلك لأنها تحترم بنى وأساليب السَّرديات. (الطيب ولد العروسي، 2009، ص30/17)

وعطفاً على ذلك ظهرت إرهاصات للممارسة النَّقدية وذلك من خلال تقديم أبو القاسم سعد الله دراسة حول شعر محمَّد العيد آل خليفة في كتاب – شاعر الجزائر محمَّد العيد آل خليفة -،ولقد تناول سعد الله العمل الأدبي من جميع زواياه ،متخذاً من المناهج السياقية ركيزة في تجربته الأدبية، فكان واعياً بطريقة كتاباته الأدبية والنَّقدية ، معتقداً في إفاداتها ،فهو في إضاءاته وتنويراته يفسِّر ويوجه ويقوم؛ فكان ناقداً بامتياز، ولهذا فلقد لقبه الشيخ محمَّد البشير الإبراهيمي بالنَّاقد الصغير، ودون أن نغيب عديداً من المؤَلفات النَّقدية ككتاب القصة الجزائرية القصيرة لعَبد الله الرَّكيبي؛ وهي أول محاولة ودراسة أكاديمية للنقد

القصصي، عالجت موضوع تأسيس الخطاب السردي وتطوره في الأدب الجزائري، شملت مادتها العلمية مرحلة ما بين سنة (1928) إلى (1962)، (شريبط أحمد شريبط، 2001، ص 12) دون أن ننسى كتاب الشِّعر الجزائري الحديث لصالح خرفي، ومؤلفات محمَّد مصايف ككتاب النَّقد الأدبي الجزائري الحديث وكتاب الشعر الجزائري الحديث وكتاب الرِّواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والإلتزام، منوهاً في هذا الكتاب الأخير أنه إلتزم بالموضوعية في البحث والإعتدال في الحكم واحترام شخصية الكاتب ومواقفه الفنية والإيديوجية. (محمد مصايف، 1986، ص 08)

ومن هنا نستبين أنَّ المنحى النَّقدي الجزائري إتَّجه في هذه الفترة صوب الواقعية الإشتراكية وأعمال "جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان وغراميشي".

ودون أن نغفل دراسة واسيني الأعرج " إتجاهات الرِّواية العربية في الجزائر "؛ والتي إعتبرها صاحبها بأنها «أوَّل دراسة جزائرية تناولت الرِّواية العربية وفق رؤية تربط الرِّواية بالواقع الذي أنتجها» (واسيني الأعرج، 1986، ص08).

وأسهم الناقد الجزائري محمَّد ساري في نفس الملمح - الواقعية الإشتراكية - من خلال كتابه " البحث عن النَّقد الأدبي الجديد " (محمَّد ساري، 1984) ؛ فهو يرى أن يطلع القارئ من خلال منجزه على أسس المقاربة البنيوية التكوينية لدى كل من " جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان "، وكما أرفق عمله هذا بأنموذجٍ تطبيقي محاولاً إبراز بعض المفاهيم والآليات الإجرائية لهاته المقاربة.

ولاحظنا بعد التقصي والإحصاء أن الأدب الجزائري بدأ يشق طريقه نحو الظهور، ثمَّ بدأت الممارسة النَّقدية تدخل حيز النَّقد الجديد الذي ذاع في الغرب ومقارباته الحداثية، فلقد تميزت مرحلة **السبعينات** بالتَّنظير لهذا النَّقد أكثر من التطبيق، محاولين نقل دراساتهم إلى الساحة الجزائرية، منطلقين من مباحث البنيوية وما بعدها.

أما فترة **التَّسعينات** إلى يوم النَّاس هذا، إهتم البَحَثَةُ بالتَّنظير وخاصة البعد التَّطبيقي ومقاربة النَّصوص الجزائرية وغيرها وتحليلها بمناهجَ غربية أحادية أو مركبة كما عمد لذلك عَبد الملك مرتاض وسمَّى مقاربته هذه **باللَّا منهج**، وكثرت المؤلَّفات* في هذا المجال نوضح بعضها في جدول:

المؤلِف	المؤلَف
عَبد الملك مرتاض	دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمَّد العيد آل خليفة.
عَبد الملك مرتاض	ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد.
عَبد الملك مرتاض	بنية الخطاب الشعري – دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية -.
عَبد الملك مرتاض	التحليل السيميائي للخطاب الشعري – تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل إبنة الجلبي-.

عَبد الملك مرتاض	السبع المعلقات – دراسة شعرية -.
عَبد الملك مرتاض	تحليل الخطاب السردي – معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق-.
عَبد الملك مرتاض	نظام الخطاب القرآني – تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن -.
عَبد الملك مرتاض	في نظرية الرِّواية – بحث في تقنيات السَّرد -.
عَبد الملك مرتاض	في نظرية النَّقد.
عَبد الملك مرتاض	قراءة النَّص بين محدودية الإستعمال ولا نهائية التأويل – تحليل سيميائياتي لقصيدة قمر شيراز-.
عمَّار بن زايد	النَّقد الأدبي الجزائري الحديث.
عَبد القادر فيدوح	دلائلية النَّص الأدبي.
عَبد القادر فيدوح	شعرية القص.
عَبد القادر فيدوح	تأويل المتخيل السَّرد والأنساق الثَّقافية.
عَبد القادر فيدوح	مقال النَّسق المضمر في الشعر العربي المعاصر.
حسين خمري	بِنية الخطاب الأدبي.
حسين خمري	فضاء المتخيل – مقاربات في الرِّواية -.
حسين خمري	نظرية النَّص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال -.

السَّعيد بوطاجين	الاشتغال العاملي – دراسة سيميائية -.
رشيد بن مالك	البنية السردية في النظرية السيميائية.
رشيد بن مالك	قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص.
رشيد بن مالك	السيميائية بين النظرية والتطبيق – مخطوط دكتوراه -.
مسعود صحراوي	التَّداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي -.
عَبد الله العشي	أسئلة الشعرية.

خطاطة المشهد النَّقدي الجزائري:

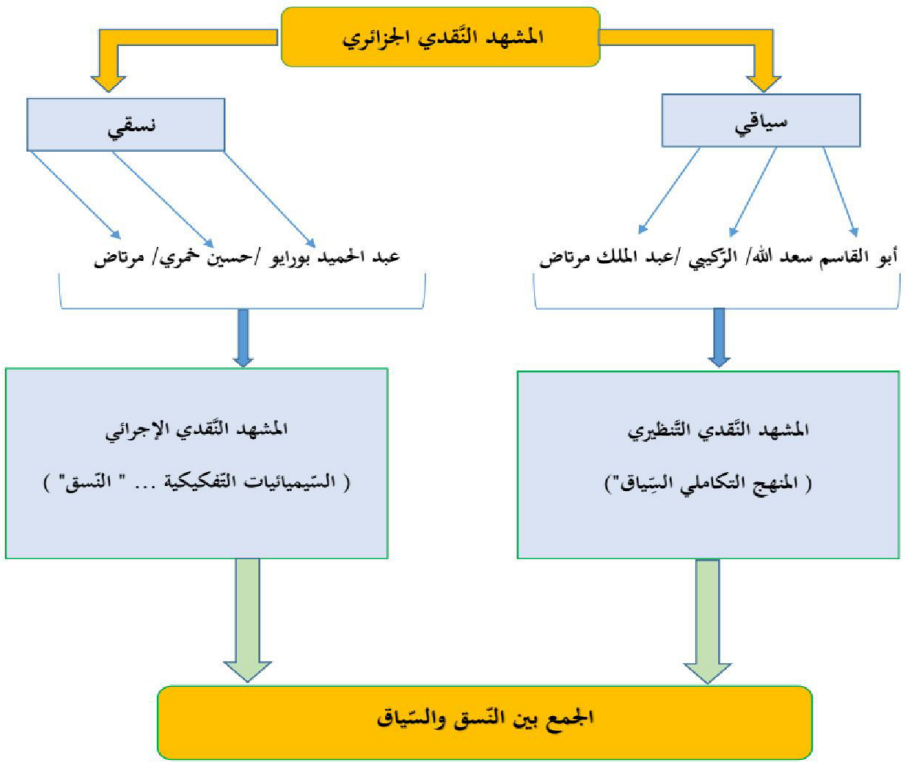

الخاتمة:

بعد قراءتنا للمشهد النَّقدي الجزائري من حيث التَّنظير والتَّطبيقُ، تمثلت لنا عدة نتائجَ وتوصيات أهمها:

كان النَّقد الجزائري في مراحله الأولى كأيّ نقد في بداياته نقدًا اِنطباعيًا تقليديًا يتسم بالنَّظرة الجزئية مع غلبة التَّنظير على التَّطبيق في معظم الممارسات النَّقدية، وخاصة قبل السّبعينات.

انتقل النَّقد الجزائري بعد الاستعمار من المعيارية إلى التَّنظير كفرض ذاته بالتأريخ لأدبه ومحاولات في جنس الرِّواية والقصة، وشيء من التطبيق مستندًا إلى المناهج السّياقية مع كلّ من أبي القاسم سعد الله وعَبد اللهالرّكيبي وعبد الملك مرتاض، واعتمدوا المنهج التَّكاملي على العموم.

واتّصف النَّقد في فترة السَّبعينات وخاصة التِّسعينات وما بعدها بميوله إلى الممارسة النَّقدية التطبيقية، وذلك بتطبيق المناهج الغربية -النَّسقية-على النَّصوص الجزائرية وغيرها، ومن بعض رواده عبد الحميد بورايو والذي اهتم بالسّيميائيات السَّردية وعبد الملك مرتاض الذي جمع بين التفكيك والسّيمياء مثالًا.

النَّقد الرِّوائي نشأ في بيئة إيديولوجية سياسية، خاصة اِنفتاحه على الفكر الماركسي وتبني مبادئ النَّقد الواقعي الاشتراكي.

ومن البِرّ بهذا النَّقد أنْ نبحث في أمرِ تقدمه وتطوره؛ كأن نسعىإلى تأسيس حركة نقدية محلية متحدة؛ لأنّ السّاحة ملأى بنقاد وأدباء ذاع صيتهم في السَّاحة العربية، والذين لم ندرس بجدٍ تجاربهم ونتاجهم الأدبي والنَّقدي، كأعمال عَبد الرحمن الحاج صالح المتنوعة، وواسيني الأعرج في الرِّواية، ومسعود صحراوي في التَّداولية وأحمد يوسف وعَبد القادر فيدوح... – على سبيل المثال لا الحصر – والقائمة تطول.

وإعادة تقليب النَّظر في إنتاجات الطلبة حبيسة الرّفوف (ليسانس/ ماجيستر/ ماستر /دكتوراه)، لأنَّ في بعضها العمل الجاد الذي يستحق العناية والطبع والدّراسة والتَّسويق.

وفي اِعتقادنا لا بد من عقد جلسة علمية دورية جامعة للنُّقاد وأساتذة الجامعات، موضوعها توحيد المصطلح النَّقدي الذي أرهقته الفوضى وتعدد التّرجمات تحت إطار التّبادل الثّقافي الفكري.

ولا بد من إنشاء مركز جزائري للتَّرجمة للنّهوض بالأدب والنَّقد معاً وضرورة نشر الأعمال الأدبية والنَّقدية في الإعلام؛ وذلك بأن نخصص لها أعمدة في الصحف وحصصاً تلفزيونية وإذاعية.

المصادر والمراجع:

- روبرت لاندا، الموضوع الثوري في روايتي اللاز والزلزال، تر: عبد العزيز بوباكير، مجلة التبيين، الجزائر، العدد08، 1994.
- شريبط أحمد شريبط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب، د ط، 2001.
- الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، الجزائر، د ط، 2009.
- عبد الله الرَّكيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983.

- عبد الملك مرتاض، مقدمة منهجية في دراسة الشعر الجزائري أثناء القرن العشرين، دراسات جزائرية، عدد 03 ماي، جامعة وهران.
- محمَّد ساري، البحث عن النقد الأدبي الجديد، دار الحداثة، بيروت، ط 01، 1984.
- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والإلتزام، الدار العربية الكبيرة ـ ليبيا، تونس ـ، دط، 1986.
- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986.